
- وكان هذا الحوار حديث القرية والمدينة ووجدت نفسى كائنا غريبا كل واحد يريد أن يراه وأن يجلس إليه.. كل الأمهات والآباء.. وانزعجت أمى وفزعت وجاءت الحاجة فتحية جارتنا بالبخور حول رأسى وجسمى وسريرى وتقول كلاما عن شر حاسد إذا حسد.. وشر النفاثات فى العقد.. وشر من رآنى ولم يصل على النبى.

ودخل الحزن قلب أمى والخوف على صحتى.. وانعزلت أمى عن صديقاتها وجاراتها.. وأنا أيضا.. لقد أصبحنا منبوذين.. أو كائنات غريبة لا مكان لها هنا ولم أعد أخرج من البيت..

ولكن لم أتناقش مع أمى ما الذى حدث. ولماذا هى خائفة لهذه الدرجة. وعرفت أنها تزور الأولياء هى وإحدى صديقاتها وتطلب من الله أن ينقذنى من عيون الناس ومن عيون من أعرف ومن لا أعرف!

وتدور هذه الأحاديث فى دماغى.. إبرا ودبابيس وضيقا شديدا.. حتى كرهت الصداقة والزمالة.. ولا أعرف ماذا أفعل.

صندوقى الأسود 2

كان يوما بهيجا جدا.. جاء أبى.. ولا
أعرف من أين.. ولم أجد الشجاعة فى أن
أسأله من أين .. وكان أبى أبيض الوجه
أخضر العينين فى صحة وعافية.. لمست
يديه وجدتهما ناعمتين.. وله ابتسامة
حلوة.. حتى أمى كانت باسمه أيضا.. ومن
النادر أن تكون كذلك.

قال لى أبى: عندى لك مفاجأة..

- إيه؟

- أنت مش عارف إيه المناسبة؟

- لا..

- فكر قليلا..

- لا أعرف.

- المناسبة هامة جدا..

- إيه اللي فى حياتك هام جدا..

وكان فى يدى كتاب فقلت: هذا؟

- شئ أهم من ذلك.. يعنى مناسبة. مش فاكرك؟

- لا والله..

- بكره عيد ميلادك. كل سنة وأنت طيب..

- آه.. وأنت طيب..

ونهضت أقبل والدي. لقد كان يضع عطرا جميلا.

وأشار أبى إلى صندوق كبير. وقال لي:

-المفاجأة فى الصندوق الكبير اللي هناك..

وبسرعة ذهبت إلى الصندوق وفتحته.. إنه كلب صغير..

- شكرا يابابا.. إنه كلب جميل جدا. اسمه إيه؟

- أنت اللي تختار له الاسم اللي يعجبك.. وأنت من النهاردة

تتولى إطعامه والعناية به.

وجاءت أمى وأبدت اعتراضها على الكلب لأنه سوف تكون

له مخلفات وهى لاتستطيع إلى جانب شغل البيت أن تهتم

بالكلب أيضا.

وقال لها والدي:

- خلاص هوه وعدنى بأن يكون مسئولاً عنه.

وأمى قالت بسرعة:

- سوف يعطله ويشغله عن المذاكرة.

والتفت أبى متسائلاً إن كان هذا صحيحاً.

قلت له: سوف أضعه طول الوقت فى حجرى وأنا أقرأ وأنا أكتب.. ماتخافيش ياماما..

قالت أمى:

- وأنا عندى لك مفاجأة..

- إيه؟

- تفكر إيه؟

- مش عارف إيه؟

- رز بلبن وبالزبيب وجوز الهند.. ودى حاجة نادرة أنا لا أطبخها.. ولما طبختها من كام سنة عجبك جداً..

- شكراً.. ربنا يديك طول العمر..

وقال أبى شعراً فى الكلاب.. ومن عادة أبى أن يجد شعراً لكل مناسبة.. شعر جاد.. وشعر هزلي.. وكان يطلب منى أن أسجل هذا الشعر لكى أحفظه بعدين.. وكان أبى يردد كثيراً كلمة بعدين أى فى المستقبل فيقول مثلاً:

- المذاكرة سوف تنفعك بعدين..

وأسأله فيقول:

- فى المستقبل سوف تعرف قيمة الحياة الجادة والانضباط والإصرار على أن تكون الأول.. وبعدين عندما تتخرج فى الجامعة وتلتحق بالعمل فى أى مكان سوف يكون لك مستقبل عظيم لأنك واخذها جد ولأنك مستقيم ولأن عندك إصرار أن تكون الأول عن اقتدار. وبالمذاكرة والتعب وليس بالغش والنصب كل هذه الصفات أو السلوكيات سوف تنفعك دلوقة وبعدين..

وتسللت إلى غرفتى ومعى الكلب أقلب فيه.. وأكتشف لونه والبقع السوداء فى جسمه وفى رأسه وعلى جانبى البطن.. ولم أعد أسمع صوتا لأبى وأمى لقد انسحبا إلى غرفتهما.

وفى ذلك اليوم لم أعرف كيف أصف حالتى مش عارف.. مبسوط.. سعيد هل لأننى رأيت أبى؟ هل لأنه قال أنه سوف يمكث معنا أسبوعا؟.. هل لأنه أهدانى الكلب؟.. وأنا أحب الكلاب. ولكنى سئى الحظ مع كلاب أخرى كانت عندى.. أول كلب كان صغيرا وأكله الذئب.. والكلب الثانى قضت عليه إحدى سيارات النقل.. والكلب الثالث مرض. ولا أعرف مرضه ولا علاجه. ولم يكن هناك طبيب بيطرى.. فاصيب بأسهال شديد حتى مات..

ورغم حزنى على هذه الكلاب.. الحقيقة لم أكن حزينا تماما فقط عندما أتذكرها أو يذكرنى بها أحد.

فلما جاء جيمى وقد أسميته جيمى شعرت بالخوف عليه مرة

أخري.. وحرصت على ألا يخرج من البيت ولا أنساه فى
غرفة الدجاج المكشوفة.. وحذرتنى أمى وأنذرتنى. وأبى لم
يضيف إلى ما قاله شيئاً. وهو على يقين من أن حبى لهذا الكلب
سوف يكون مصدر سعادة لى.. وللكلب أيضاً..

وطلب أبى أن ينظر فى كرارىسى وكتبى فقال:

- نظيفة كما توقعت.. وكتبك نظيفة أيضاً.. ويدك نظيفة
وسوف تبقى نظيفة.

وجاء الليل بسرعة. وذهبت أمى إلى فراشها فهى مرهقة
دائماً وتنام مبكراً.. وجاءت الفرصة النادرة أن أجلس إلى
أبى.. ولا أقول إنه كان دائم الضحك.. وإنما دائم الابتسام
وعنده حكايات ونوادير فى الشعر القديم والحديث.. وهو يعرف
طه حسين وأسرته الصعيدية ويعرف عباس العقاد وقرأ له..
وهو معجب به ويقول عنه: ده راجل تمام..

ولم يقل أديب أو شاعر أو ناقد.. ولكن لابد أنه قرأ له
وأعجب به، وأبى من مزاياه التى لاحظتها أن يحول كل شئ
إلى ابتسامة.

سألنى عن زملائى وقلت له ما يتم وقال: هذا طبيعى..
مادمت تمشى فى المقدمة فلا بد أن يضربك الناس بالطوب..
وأفضل لك أن تضرب بالطوب من أن يدفنوك تحت الطوب..
أن يحقدوا عليك لا أن يشفقوا عليك..

ثم يقول أبياتا من شعر جميل. وكان يحب شوقى والبحترى

وحافظ إبراهيم.. واحد اقاربه شاعر دمه خفيف أيضا..

وتمنيت لو جلست إلى أبي طول الوقت. ولا أذهب إلى المدرسة.. فالجلوس مع أبي متعة كبيرة. وفي يوم قال لي: عاوزك تنام علشان حنروح سهرة جميلة سوف تبسطك جدا.

ولما ذهبت لكى أخبر أمى وجدتها قد نامت. وتحيرت ماذا أصنع.. إذا صَحَتْ ولم تجدنى سوف تقلق وتضطرب وتبكي مع اننى مع أبى.. فكتبت لها ورقة أقول فيها إننى وجدتها نائمة ولم أشأ أن اوقظها.. ثم سحبت الورقة فأمى لاتعرف القراءة.. وأعدت الورقة حتى لاتضطرب أمى إلى البحث عن الذى يقرأ لها هذه الورقة. وقد تذهب إلى أم زميلى فى المدرسة.. وتعرف أن أمى لم تتعلم.

وتكون حكاية ورواية للأمهات فى العمارة التى نحن نسكنها وفى الشارع وفى المدرسة.. وبسرعة أحضرت كوبا من الماء ووضعته إلى جوار السرير فقد تحتاج أمى إلى أن تشرب فلا تجد ماء قريبا عنها.. وبسرعة بحثت عن قرص إسبرين ووضعته إلى جوار الكوب..

وعدت بسرعة وانحنيت على أمى وقبلت يدها.. والله أمى وجهها جميل ويزداد جمالا عندما تستسلم للنوم..

وتأكدت أن الورقة فى جيبى.. وأخرجتها ومزقتها إلى قطع صغيرة جدا.

ولما عدت سألتنى أبى. فقلت كنت أبحث عن منديل.. واستأذنت أبى فى العودة فقد نسيت المنديل على الكرسي قال:

- انتظرك هنا..

وأسرعت إلى البيت وفتحت الباب ولم يصدر عنه صوت
واتجهت مباشرة إلى غرفة أمي.. وأبعدت كوب الماء عن
سريرها حتى لا يسقط الماء إذا تركته ومدت يدها في الظلام..
ثم انحنيت عليها وقبلتها في جبينها ويدها.. وخرجت على
أطراف أصابعي.

وسألني أبي:

- وجدته؟..

- أيوه.

- ياللا بينا. سوف تسمع أجمل الأصوات وسوف تستمع إلى
الموسيقى الجميلة.. إيه رأيك؟

- شكرا يا أبي..

- أنت نمت بعد الظهر..

- لا.. نسيت..

- آه إذن أنت سوف تنام يا جميل هاها.. سوف تنام.

وأرجو أن تنام عندما نصل لأن الأغاني سوف تجيء متأخرة..
هاها.

إن أبي يجد كل شيء يبعث على الضحك أو الابتسامة.. وهي
مناسبة لأن يحكى حكاية مضحكة ثم يقول شعرا.. لقد عرفت
لماذا يجئ الناس ويسألون عنه.. ونقول لهم دائما: مسافر..

- هو جاي بكره..

وأسأل: وكيف عرفت فيقال لي هو الذي قال لنا إنه سوف
يجيئ الأمس..

أذن هم يعرفون ونحن لا نعرف.. فهم يحبونه كثيرا وينتظرونه
ويوسعون له الطريق والكلام.. فهو سيد المتحدثين.. أمير
الكلام والغناء.. ولكني لا أعرف.. أن أبي مهم جدا محبوب
جدا. يفتقدونه دائما..

ووقفنا أمام بيت قد أضيئت نوافذه وأبوابه ويبدو عليه الدفء..
الذي هو ترحيب عن بعد.. وانفتح الباب وصفق الناس عندما
جاء أبي والأحضان والقبيلات.. هذا ابني.. وجاءت أصوات
تقول نعرفه.. نسمع عنه وعن تفوقه..

ودخلنا قاعة كبيرة امتلأت بالرجال فقط.. وجلست إلى جوار
أبي ملاصقا له وأحسست بالدفء الحقيقي.. ولم أشعر به من
قبل. ورأيت فيما يرى النائم أن احدا يغنى وأن هناك موسيقي.
وأن أبي يمسكني من خدي ويقول لي:

- اصح يا بطل.. نحن وصلنا إلى البيت!
